وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت/كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المادة : الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

عنوان المحاضرة :

موقف الإسلام من الشعر/ج3

أ.د محمد سعيد حسين مرعي

ms_husen@tu.edu.iq

م.د منار نبيل خطاب

م.د رفل احمد علي

موقف الإسلام من الشعر

موقف الخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء

لم تذكر المصادر اهتمام أبي بكراً- رضي الله عنه- بالشعر سوى استشهاده به في الخطب والأقوال بسبب انشغاله بحروب الردة وأمور الخلافة بعد الرسول- صلى الله عليه وسلم- بمعنى أنه اهتم بالأمور السياسية المهمة التي شغلته عن الأمور الأخرى ومنها الشعر. وهناك من يقول أن له ديواناً شعرياً كاملاً كان شخص سوري بصدد تحقيقه، في حين أن هناك من ينكر قوله لبيت شعري واحد.

أما الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، فقد كثر اهتمامه بالشعر والشعراء لطول فترة خلافته، وقد وصف بأنه أنقد أهل زمانه للشعر.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري يقول: (مر من قبلك بتعلم الشعر فأنه يدل على مكارم الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب). وفي قول آخر: (علموا أولادكم العوم والفروسية ورووهم ما سار من الأمثال وما حسن من الشعر)، وهناك قول آخر لعمر هو: (أرووا من الشعر أعفه ومن الحديث أحسنه ومن النسب ما تواصلون عليه وتعرفون به، فرُبَّ رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخرق وتنهي عن مساويها).

كما قال: (خير صناعات (العرب) أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم)، وقال: (نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته)، وهذا لا يعني أنه يشجع المدح التكسبي، إنما يعترف بالتأثير العاطفي للشعر.

وقد كانت له مواقف مع الشعراء، فهذا سحيم بن عبد بني الحساس إذا رأى في شعره ما يناسب مبادئ الإسلام شجعه وإذا رأى عكس ذلك وبخه، فعندما قال في مطلع قصيدته:

عميرة ودع أن تجهزتغازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فالبيت يبين أن الإسلام ومبادئه تنهي المرء عما في نفسه من سوء لا يتناسب مع تلك المبادئ، فقال عمر– رضي الله عنه–: لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك، وفي رواية أخرى: لو قلت كل شعرك مثل هذا لأجزتك.

وكان سحيم قد أكثر من الغزل الفاحش الذي لا يقبله الإسلام فحذره عمر من الاستمرار بذلك، فقال: تقتل يا سحيم أو: ويلك أنك لمقتول، وصدق تحذيره، إذ قتله بعض أشراف قريش بعد تغزله بنسائهم. وكان عمر كثير الإعجاب بشعر زهير بن أبي سلمى معللاً ذلك بأنه لا يمدح المرء إلا بما فيه.

ويروي البعض أن عمر وقف موقفاً سلبياً من حسان بن ثابت حين وبخه لما أنشد شعراً في المسجد قائلاً: (أرغاء كرغاء البعير)، فقال حسان: ((والله لتعلم أني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك))، والسبب في رفض عمر لشعره آنذاك هو إثارته للأحقاد بين المسلمين لأنه لمح للبعض من المسلمين بكونهم كانوا مشركين، وهذالا يعني وقوف عمر ضد كل شعر حسان، بل لنوع منه ذلك الذي يثير الضغائن والأحقاد بين المسلمين.

ثم نرى موقف عمر من الحطيئة عندما هجا الزبرقان بن بدر بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فأنك أنت الطاعم الكاسي

فشكاه الزبرقان لعمر فحبسه جزاءً لشعره الذي لا يقبله الإسلام.

مما يعني أن موقف عمر كان موقفاً يماثل موقف الرسول والإسلام من إنكار كل شعر يتعارض مع الدعوة الإسلامية من غزل فاحش وهجاء مقذع ومديح مبالغ فيه،ونعلم بعد ذلك أن لعمر حصة الأسد من الاهتمام بالشعر والشعراء، وقد يعود ذلك لطول مدة خلافته.

وقد أراد الخليفة أن يسوي الأمر بينهما (الحطيئة والزبرقان) إلا أن الزبرقان أصر على شكواه فاستدعى عمر حسان بن ثابت ليحكم بكونه هجاءً أم لا، وعندما حكم حسان بكونه هجاء ألقى عمر الحطيئة في السجن ثم استعطفه الحطيئة بقوله:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمـــرُ

فأطلق سراحه بشرط ألا يعود إلى هجاء المسلمين.

ويروى أن المزرد بن ضرار هجا قوماً فشكوه إلى الخليفة عثمان بن عفان- رضي الله عنه- فبعث بشخصين، الأول من ثعلبة، والآخر من الأنصار لإحضاره، فوبّخه وطلب منه أن يعتذر قائلاً له: إياك وهجاء الناس.

كذلك الضابئ بن حارث البرجمي، فقد هجا قوماً فشكوه إلى الخليفة عثمان فسجنه.

وكان عثمان معجباً بشعر زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلَمِ

إذ قال عن هذا البيت: أحسن زهير وصدق.

موقف الخليفة علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-

كان موقفه كموقف سابقيه من الخلفاء وروي أنه قال: الشعر ميزان القوم، وفي رواية: الشعر ميزان القول، وهو قول حق، إذ إن الإنسان يوزن أو يعرف من قوله وكلامه حتى أننا نستطيع الحكم على الشاعر من قوله بكونه مسلم أو غير مسلم.

ويروى له القول: (علموا أولادكم العوم والفروسية ورووهم ما سار من الأمثال وحسن من الشعر).

ويروى قوله: (أحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك، فإن من لا يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقه)، وهي أقوال وإن كانت مشتركة في نسبتها إلى الخليفتين فإنها تبين موقف هؤلاء الخلفاء من الشعر.

ويروى أن إعرابياً قدم عليه وقال: إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك، فقال له علي خط حاجتك في الأرض، فإنني أرى الضر عليك فكتب الإعرابي على الأرض أنني فقير، فقال له علي: يا قنبر أدفع إليه حلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كسوتني حلةً تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

فيقول له إنك أعطيتني شيئاً يفنى، ولكنني سوف أمدحك بما لا يفنى من شعر، فقال علي: يا قنبر، أعطه خمسين ديناراً، ثم قاله له: أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: انزلوا الناس منازلهم.

ويروى أن عمر سأل علياً:من أشعر الناس؟ فقال: الذي أحسن الوصف وأحكم الرصف وقال الحق، قال: من هو؟ قال: أبو محجن في قوله:

لا تسأل الناس عن مالي وكثرته واسأل القوم عن ديني وخلقي

يتبين من ذلك أن مواقف الخلفاء الراشدين جميعاً تشبه موقف الرسول من الشعر والشعراء في وقوفهم مع شعر الدعوة الإسلامية والداعي إلى مبادئ الحق والفضيلة، وفي الوقت نفسه يقفون ضد الغزل الماجن والمديح المبالغ فيه والهجاء المقذع وكل شعر يناقض مبادئ الإسلام.

س) ما هود رد فعل الشعراء تجاه موقف الإسلام من الشعر؟

إن موقف الشعراء والناس والباحثين يكاد يقسم إلى قسمين:

أ- قسم يقف بجانب شعر هذا العصر.

ب-قسم يوجه الشبهات لشعر هذا العصر.

القسم الأول:

يقول بكثرة الشعر والشعراء، وأدلتهم على ذلك كثيرة مستنبطة من الأحداث التي رافقت بداية الدعوة الإسلامية، ونجد أن العرب ينقسمون قسمين: قسم مع الرسول، وقسم مع الكفار، ولكل طرف من هذه الأطراف شعراء، فكان للرسول شعراء وللمشركين شعراء، وهذا يعني كثرة الشعر من كلا الطرفين على اعتبار أن لكل طرف شعراء يقولون الأشعار الكثيرة التي ترافق الأحداث والمعارك والغزوات مثل غزوة بدر وغزوة أحد، وتروى أحداث المعركة من كلا الجانبين بمعنى مرافقة الشعر للأحداث الجارية في تلك الفترة.

فضلاً عن أن الوفود التي كانت تأتي لإعلان إسلامها كانت تصحب شاعرها ليقول شعراً بهذه المناسبة، ومثل هذه الأشعار موثقة في كتب الأدب، ثم مراثي الشهداء ومراثي الرسول العديدة.

وننتقل إلى عهد الخلفاء الراشدين فنرى أن الشعر يوثق تجهيز أبي بكر لجيوش المسلمين لحروب الردة وكان المسلمون والخصوم يقولون شعراً في هذه الحروب، ونجد الفتوحات الإسلامية تتسع وتتجه صوب العراق والشام وبلاد فارس ومصر والأندلس، وكان هذا الشعر كثيراً حتى ألفت فيه كتب خاصة.

وفي عهد عثمان جرت خلافات وفتن داخلية لأسباب عديدة وقصة حصاره وقتله مشهورة، فنرى الشعر يوثق ذلك بشعر كثير.

وفي عهد علي نرى الشعر يوثق خلافه مع عائشة وطلحة والزبير وفي معركته مع معاوية وحوى الشعر هنا كل تفاصيل تلك المواقع.

مما يبين أن الشعر رافق الدعوة الإسلامية يوثق أحداثها بدقة وكثرة وهي مبثوثة في كتب السيرة والتاريخ والتراجم.

القسم الثاني:

يقول ابن خلدون: (انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام بما شغلهم عن أمر الدين والنبوة والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ثم استقر ذلك... ولم ينزل الوحي بتحريم الشعر وحضره وسمعه النبي- صلى الله عليه وسلم- وثاب عليه، فرجعوا حينئذٍ إلى ديدنهم منه).

وردنا عليه:

إن الشعراء الإسلاميين يمكن أن ينطبق عليهم كلامه، إلا أن الشعراء الكفار لم تشغلهم أمور الدين والوحي وإن كان شعراء المسلمين قد تراجعوا قليلاً بسبب موقف القرآن من الشعر، إلا أن ذلك لا يعني شعراء الكفار في شيء لأنهم أساساً لا يؤمنون بما جاء به القرآن.

مما يعني عدم دقة قول ابن خلدون، ولعل هذا الموقف لابن خلدون يستند إلى قول ابن سلام عن الشعر، إذ يقول: (فجاء الإسلام وتشاغلت العرب عن الشعر وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت العرب عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك، وقد هلك من العرب من هلك بالقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير).

يرى ابن سلام أن الشعر قد ضاع منه الكثير وضاع من النثر أكثر من ذلك حتى لم يبق من النثر إلا عشره وضاع من الشعر عشره بسبب استقرار الشعر في النفس وسهولة حفظه لوجود القافية والوزن فيه، أما قوله: (ولهت العرب عن الشعر) ففيه مجانبة للصواب لأن العرب لم تله عن الشعر قط على مرّ العصور، بل رافق العشر كلّ تفاصيل حياتهم.

س) ما الدليل الذي اتخذ حجة على توقف الشعراء عن قول الشعر؟

أرسل عمر للشعراء طالباً شعراً، فأرسلوا له الأشعار إلا لبيد، إذ أرسل له سورة البقرة.

ورداً على ذلك نقول أن هناك احتمالين:

1. **انقطاع لبيد عن قول الشعر زمن عمر- رضي الله عنه-.**
2. **فهم لبيد قصد عمر بمعنى (ما هو شعر الشعراء الإسلاميين) فأجابه بسورة البقرة إعلاماً له عن استعاضة شعراء الإسلام بالقرآن عن الشعر.**

وما يثبت عدم توقف لبيد عن قول الشعر تأكيد محقق ديوانه يحيى الجبوري، إذ أثبت أن لبيد قال قصيدة في مدح سلمان بن ربيعة الباهلي، وهذا الشخص كان قاضياً على الكوفة زمن عمر- رضي الله عنه- ورقمها (58) في الديوان بمعنى أن لبيد مدح أحد قضاة عمر ويعني عدم توقفه عن الشعر، كما أثبت المحقق أن لبيد نظم قصيدتين قبل وفاته وهما (28، 49) في الديوان.

وكتاب الأغاني للأصفهاني يورد له مقطوعتين قالهما لبيد قبل الوفاة أو عندما حضرته الوفاة.

كما أثبت الجبوري أن هناك (19) قصيدة ومقطعة إسلامية في ديوانه، كل ذلك يبين لنا أن لبيد لم ينقطع عن قول الشعر بعد الإسلام وهو كافٍ لدحض هذه الشبهة.

ولنفترض توقف لبيد عن قول الشعر، فهذا وحده لا يكفي لإعمامه على كل الشعراء، ولماذا إذن نعمم استمرار الشعراء الآخرين في قول الشعر على أساس أن حسان وعبد الله وكعب استمروا في قول الشعر.

مما يبين لنا كيف أن هذه الحجة واهية وضعيفة.